الفصل الأول

قصص الأطفال الإسرائيلية واللعب على أوتار العنصرية

مـن الملاحظ أن الإسـرائيليين يجيدون دائماً ركـوب الموجة والاصطياد فى الماء العكر لنشـر الأكاذيب والادعاءات وترويج الأسـاطير، وجاءت أحداث سـبتمبر لتقدم لهم على طبق من فضة وجبة دسمة تثير شهيتهم الباحثة دوماً عن ضحية تنكل بها.

فما إن وجهت أمريكا أصابع اتهاماتها السريعة والمتعمدة للعرب والمسلمين وتصاعدت دعواتها لتغيـير مناهـج التعليم فى بعض الـدول العربية لتتفق مع ما أطلقت عليه «ثقافة السـلام» حتى أسـرعت إسـرائيل بدورها لركوب الموجة... فأخرجت جعبة اتهاماتها الجاهزة لكل من يحاول الاقتراب وكشف زيفها وفضح جرائمها الوحشية متهمة إياه بمعاداة السامية.

وبدورنا نتسـاءل: ماذا عن معاداة العرب والمسلمين والتى تزخر بها مناهج التعليم الإسرائيلية وكتابات أدبائها وباحثيها المستشرقين، بل وحتى قصص الأطفال هناك لم تسلم من ذلك التشويه لصورة العرب والمسـلمين ووصفهم بأبشـع صفات لبث الكره والنفور منهم وزرع بذور الاسـتعلاء والغطرسة فى نفوس الصغار.

فمن منا إذن يحتاج أن يتحلى بثقافة السلام؟ من منا يحتاج إلى تعديل مناهجه وكتبه لغرس روح التسامح فيها؟

من المؤكد أن العنصرية هى الدرس الأول الذى يلقنه الإسرائيليون لأطفالهم. منذ نعومة أظافرهم يغرسـون فيهم كره الأغيار. وعندما يشتد عودهم يقدمون إليهم الرشاشات ليتعلموا كيفية الضغط على الزناد لتنطلق رصاصات الغدر فتصيب قلوب الأبرياء.

بدلاً من الزهور يحملون البنادق، وبعيداً عن الأوراق يرسمون بفرشاتهم الدامية على الدانات.. هى لوحاتهم المفضلة يسطرون عليها كلمات تفضح سواد قلوبهم المريضة وحقدهم الأعمى.

رسـائلهم تحمل الرغبة فى الخراب، وتعد بالتدمير وتتمنـى الإبادة والفناء قانية بلون الدم، لا يظهر فيها سـوى اللونين الأسـود والأحمر، لا يعرفون اللون الأبيض، ويجهلون رسم أغصان الزيتون وحمام السلام.

لن تختفى من ذاكرتنا طويلاً صورة تلك الطفلة الإسرائيلية التى أخذت تسطر على دانات المدافع والدبابات بكلمات كالسم، مفرداتها غريبة على لغة الأطفال، استعارتها من قاموس جنرالات الحرب فى دولة الإرهاب.

عيونها اختفت منها براءة الطفولة لتنطق بالغل والحقد والكره، ابتسامتها الباهتة المتوعدة تعكس اضطراب نفس مريضة لا تعرف هدوء التسامح أو معنى الحب.

صورة هذه الفتاة التى نشرتها الصحف أثناء الحرب الإسرائيلية على لبنان- صيف ٢٠٠٦- ربما كانت صادمة للبعض، لكنها لم تكن كذلك بالنسبة للكثيرين ممن يعرفون ما يحدث فى المدارس الإسرائيلية وما تحمله مناهجها من دعوة صريحة لكره العرب والمسلمين. بل وحتى قصص أطفالها لا تخلو من ذلك.

الكاتب الإسرائيلى أورى أفنيرى اعترف صراحة بالعنصرية والعنف التى تمتلئ بها قصص الأطفال بقوله: إذا أردت أن ترى فى بيتك فاشياً أو نازياً صغيراً فما عليك سوى أن تذهب إلى مكتبات الأطفال وتشترى واحداً من الكتب العنصرية والإرهاب والتى صوروا فيها جرائمنا على أنها دفاع عن النفس[1].

فمنذ نعومة أظافرهم تلاحقهم إسرائيل بعمليات غسيل المخ لتشويه كل ما هو مرتبط بالعربى، وفى المقابل تمجد وتعظم كل ما هو إسرائيلى صهيونى.

ويعد أدب الأطفال أحد أهم الوسائل المستخدمة فى ذلك، حيث يوجه هذا الأدب للنشء وهم فى مراحل حياتهم الأولى التى يكتسبون فيها القيم والتقاليد والعادات، لذلك تفننت إسرائيل فى بث كل ما تريده من أفكار فى نفوس أطفالها من خلال ما تقدمه من كتب وقصص مسلية وشيقة تغرس فيها أفكارها الصهيونية لينشئوا منذ الصغر على الكره والحقد والنفور من كل ما هو عربى وإسلامى[2].

فتصف قصص الأطفال العربى بأنه- جبان- كذاب- غبى- حيوان- مفترس، سريع الاستسلام، بعكس اليهودى الذى تظهره دائماً على أنه الأذكى عقلياً والأقوى بدنياً لتنمى الإحساس بالتفوق والتميز والاستعلاء فى نفوسهم[3].

وتغرس فيهم هذه المفاهيم فى قالب دينى عاطفى جذاب وأكثر قدرة على إثارة حماسهم الدينى لتتحول فيما بعد هذه القيم الدينية إلى مفاهيم سياسية.

---

(١) مجلة الوحدة- ٢٧- ٨- ٢٠٠٦ اللاذقية- سوريا. سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والتوزيع- اللاذقية- سوريا.

(٢) د. سناء عبد اللطيف «هكذا يربى اليهود أولادهم».

(٣) المرجع السابق.

ويهتم أدب الأطفال الإسرائيلى بالقصص التاريخية بشكل خاص، مركزاً على تلك التى تعتمد على أعمال البطولة وسير الأبطال[1].

ويرجع اهتمام المؤلفين بكتابة القصة التاريخية للأطفال بهدف تعميق الإحساس بتمييز الشخصية اليهودية، والعمل على المحافظة على هويتها، فضلاً عن الإحساس الإسرائيلى بأن الحاضر لا يكفى، وأن هناك شيئاً ما ينقصه، فهو يشعر بنقص إرث الماضى الذى يمكن بموجبه صياغة حاضر أكثر استقراراً[2].

تعمل كتب الأطفال على تنشئتهم سياسياً بهدف تنمية روح الانتماء للوطن من خلال غرس الفلسفة الصهيونية، لذلك تزخر بالشخصيات التى ساهمت من وجهة نظرهم فى بناء الدولة، منهم حايم فايتسمان– زلمان شازار– دافيد بن جوريون وأيضاً رابين وموشيه ديان.

أما موضوعاتها فتدور حول يوم ميلاد الدولة– علم إسرائيل ورموزه، والمعارك التى خاضتها إسرائيل مع التركيز على إبراز البطولة الخارقة للمقاتلين اليهود فى مقابل تحقير المقاتلين العرب[3]. ففى أعقاب كل حرب خاضتها إسرائيل مع العرب يظهر عدد كبير من القصص تحت مسمى «الأدب الوثائقى» تضم شهادات لجنود إسرائيليين خاضوا هذه الحروب[4].

وباعتراف الكاتب الإسرائيلى إدير كوهين– الخبير المتخصص فى شئون التربية بجامعة حيفا– فإن معظم هذه الكتب التى تتحدث عن الحرب هى كتب سطحية تهدف إلى تلطيخ سمعة العرب والسخرية منهم ومن أسلوبهم فى القتال مقابل الإشادة بالمقاتلين اليهود:

قصة «دينين فى الأسر» واحدة من هذه القصص التى تتعمد إظهار البطولة الخارقة للجندى الإسرائيلى فى حرب الأيام الستة ١٩٦٧– فجاء فيها: [فى حرب الأيام الستة كان دينين يطهر البيوت من القناصة المصريين المختبئين ليقضوا على قواتنا فقام بمفرده باقتحام البيوت والقبض على أحد القناصة وعلى الفور ذعر باقى القناصة وأخفوا بنادقهم واختبئوا هم أنفسهم][5].

فى قصص الأطفال تبدو صورة الجندى الإسرائيلى على درجة عالية من القوة والتفرد فى مقابل وصف الجنود العرب بالجبن والضعف وهو ما يكشف موقف الاستعلاء الذى تبثه هذه القصص

---

(١) المرجع السابق.

(٢) عجز النصر– الأدب الإسرائيلى وحرب ٦٧، د. بشار الشامى.

(٣) د. سناء– مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

التـــى تهـــدف إلى خلق صورة لليهود على أنهم خارقو القـــوة والذكاء وهو ما يؤهل نفر قليل منهم على الانتصار على جيوش بأكملها[1].

فى قصة «الشـــرطة الســـريون» للمؤلف أفنيركرميلى حيث يظهـــر البطل «إيلى» صاحب قدرة خارقة اســـتطاع بها القبض على مئات عديدة من العرب بينهم رؤســـاء وملوك وقادة عرب فيهم جمال عبد الناصر والملك حسين والملك فيصل وانتهى بهم الأمر جميعاً للانصياع لأوامره.

قصـــة خرافيـــة وصل خيال مؤلفها إلى أقصى ما يمكن أن يشـــطح به الخيال ومع ذلك يتعامل معها وكأنها أمر منطقى لا يســـتبعد حدوثه فيعلق على ذلك بقوله [ما الغريب فى أن ينجح فتى فى الســـيطرة على ملوك ورؤســـاء، إذا كانت جيوشهم ضعيفة وعصاباتهم مضطربة وكل ما يتعلق بجيوشهم ينم عن الجبن].

صورة الجندى العربى تبدو دائماً- شـــخصية ســـلبية فى الأدب العبرى، ويعتمد الكاتب فى تصويرها على انتصارات إســـرائيل فى الحروب التى قامت بها وانتصرت فيها، فيبدو الجندى العربـــى جباناً وبـــدون قدرة فكرية وعديم الانضبـــاط، وفى المقابل «الســـوبرمان اليهودى» يتميز الجندى اليهودى بالصلابة والتضحية[2].

من قصة «الدورية الخاصة مطوقة» للكاتب أفنير كرميلى جاء على لسان الجندى الإسرائيلى: [حتى لا يبقى أى شـــخص منا على قيد الحياة ويســـتجوب ويعذب على أيدى الأعداء، فإنه إذا ســـقطت الطائرة قبل وصولها إلى الهدف نقول.... نحن بلا مظلات ســـنتحطم جميعنا مع سقوط الطائرة، ولن يعرف المصريون إلى الأبد ماذا كان هدفنا فى سيناء.

«إننا لا نستطيع أن نطلب منك ومن رجالك أن تتحطموا مع الطائرة إذا ما وقعت» قال القائد غفراهو «إنكم لا تطلبون منا ذلك، إننا نحن الذين نطلبه من أنفسنا، وبوعى كامل لأنه لا يوجد بديل][3].

وفى مقابل هذه القوة العجيبة يظهر الجندى العربى جبانا أبله وبدون أخلاق ويكفى أن يطلق الرصاص فى الهواء حتى يفر هاربا.

فى قصة «المقاتل من الوادى» ظهرت صورة الجندى العربى على النحو التالى:

ليس لديهم استعداد للقتال، وهم مضطرون وهو الفرق بيننا وبينهم[4].

وفى قصة «المظليون قادمون» يبدو الجندى العربى على درجة كبيرة من الجبن والضعف فجاء فيها:

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) د. فوزى الأسمر: الشخصية العربية فى قصص الأطفال العبرية التجارية- مجلة رؤية- العدد ٣٩.

(٤) المرجع السابق.

[ولم يشعر الولد اليهودى بما يفعل، حمل المدفع، وأطلق بعض العيارات النارية فى الهواء، والتى مرت من فوق رأس الجندى العربى، وكان هذا العمل كافيا، العربى فوجىء، وأخذ يعدو هاربا][1].

بعد حرب ٧٣ تغيرت صورة العربى إلى حد ما فى القصص العبرية بعد نجاح الجيوش المصرية والسورية فى اقتحام الجيش الإسرائيلى على جبهة القناة والجولان، إلا أن هذا التغير لم يكن جذريا، إنما اقتصر على إظهار حالة الرعب التى يعيشها سكان المستوطنات بعد احتلال الجيوش العربية لها.

وركزت هذه القصص على أحداث الجولان، وذلك لأنه من السهل إظهار قوة الجيش الإسرائيلى هناك حيث استطاع إعادة احتلال بعض المناطق التى احتلها الجيش السورى، فى حين لم يستطع الكاتب تفسير تحطيم خط بارليف واحتلاله من جانب الجيش المصرى للقارئ الصغير، وبالرغم من ذلك كله استطاعت هذه الحرب إدخال نغمة جديدة على أدب الأطفال كتصوير حالة الفزع والخوف فى المستوطنات اليهودية وهى صورة لم يعثر عليها فى قصص ما قبل عام ١٩٧٣ [2].

فى قصة «دخان يغطى الجولان» يصف هذه الحالة [صفير قنبلة مستمر، يخترق السماء فوق رأسى، فى البداية يكون ضعيفا وبعيدا، وبعد ثوان يصبح قويا وقريبا.

إنه يثير الخوف ويجبرنا على إخفاض رءوسنا. وينتهى هذا الصفير بصوت كالرعد ومن ثم هدوء غريب... ضجة طائرات نفاثة تمر فوق رءوسنا سرب من أربع طائرات ميج يمر بسرعة البرق، لم أكن أتصور أنه يوجد مثل الضجة المخيفة لدرجة أنى شعرت أننا حبة عبارة عن حبة تطحن بين عجلات ضخمة، كأن الأرض تهتز تحت أقدامنا وبعد قليل سنسقط إلى داخل حفرة عميقة سوداء][3].

ومن قصة أخرى يخرج أحد سكان مستوطنة يهودية فى مرتفعات الجولان بعد أن سمع أزيز الطائرات، يخرج ليرى كيف ستقوم الطائرات الإسرائيلية بتلقين السوريين درسا لأنهم يقصفون مستوطنة فجاء فيها:

[وظهرت فى الأفق طائرات تتقدم جنوبا، وفى الوقت نفسه ظهرت حمدة التى تعتنى بشئوننا فى المستوطنة وصاحت: ما معنى أننا نقف خارج الملجأ وكأن شيئا لم يحدث، ألم تسمع القصف والانفجارات..أجبت: سمعت وتابعت ملاحقة الطائرة المقاتلة لهم والآن سترين كيف سيعلمهم هذا الطيار درسا.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

ولكن للأسف الشديد كنت على خطأ: القنابل التى ألقيت من الطائرة كانت مصوبة ضدنا، وهذا ما برهن لى خطأ: أننى أعترف لقد كنت أرتعد خوفا[1].

انتصار الجيوش العربية فى حرب ٧٣ ونجاحها فى هزيمة الجيش الإسرائيلى بررها الكتاب الإسرائيليون، وأرجعوها إلى عنصر المفاجأة خاصة وأنها جاءت فى يوم الغفران عندما كان الجيش الإسرائيلى منهمكا فى ذلك اليوم المقدس، ومع ذلك نجحت هذه الحرب فى تغيير صورة الجندى العربى فى الأدبيات الإسرائيلية، بدا فيها قادرا على القتال لديه القدرة على الحرب واحتلال أراضى يسيطر عليها الجيش الإسرائيلى، كما أنه باستطاعته تدمير الدبابات وإسقاط الطائرات، ومع ذلك لا تزال هذه القصص تنتهى بانتصار «إسرائيلى» فى محاولة للعودة مرة أخرى إلى الصورة النمطية[2].

هذه النمطية لا تقتصر فقط على رسم صورة الجنود العرب لكنها تنسحب أيضا على العرب بشكل عام. والصورة المميزة للعرب فى أدب الأطفال التجارى العبرى هى صورة قاتمة، فالعربى مجرم وقاتل يحب القتل من أجل القتل، كما أنه يقتل لأتفه الأسباب وكأنه لا قيمة لحياة الإنسان عنده وبخاصة اليهود، وذلك نتيجة الغيرة، والعربى غدار يغدر بأهله وأقاربه، وهو أبله لا يعرف كيف يتحدث، ولا يصدق كل ما يقال له، ولا يستطيع أن ينتصر حتى فى العدو أو السباحة، ودائما يجب أن يعلمه شخص غير عربى بالذى يجب أن يفعله. وهو كذاب لا يمكن الاعتماد عليه فى أى كلمة يقولها، ولا أى وعد يقطعه على نفسه وهو قذر فى تفكيره وجسمه لا يغتسل، والمعلمة تحذر الأولاد من الاقتراب من العربى حتى لا يصابوا بمرض عضال[3].

أما صورة العربى الشكلية فتظهرها القصص العبرية كالآتى: وجه مخيف ذو ندبة، عيناه يملؤها الرعب. نظرته تثير الخوف، شاربه كثيف، ذو فم ضيق أحدب، غير حليق ذو عاهة شكله مثير للضحك، سخيف، والقمل يعيش فى رأسه وهو أيضا وحش مفترس متعطش للدماء، والعرب أيضا قتلة متمردون- حيوانات تافهون محتقرون[4].

وجاءت هذه الصورة لتنزع من الطفل احترامه للعربى، وبالتالى فإن الشخص الذى لا تحترمه، لا تستطيع النظر بموضوعية إلى المشكلة التى يطرحها، ولذا يسقطه حقه، وفى جميع هذه الكتب يظهر دائما التفوق اليهودى فى كل المجالات. والعربى المقبول لديهم هو العربى الذى يقبل الأمر

(١) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.
(٢) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.
(٣) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.
(٤) د. ثناء عبد اللطيف- مرجع سابق.

الواقع- ويرى النواحى الإيجابية فى الصهيونية ويستطيع التفاعل معها، بمعنى آخر كل عربى يخون شعبه ويبيع ضميره، فهو العربى الجيد، وهناك عربى جيد آخر هو العربى الذى يتثقف على أيدى اليهود[1].

فى قصة «نار فى الجبال» للكاتب يهود اسلو واحدة من هذه القصص التى تعكس الصورة الإيجابية للعربى من وجهة النظر الإسرائيلية. مجموعة من الأولاد اليهود يركبون سيارة متوجهين إلى مدينة القدس، وعند مشارف منطقة باب الوادى قبل الوصول إلى القدس، تنصب فجأة نار عليهم من الجبال المحيطة بهم، ويقتل كل من فى السيارة عدا واحد. ومع الظلام يأخذ هذا الولد فى الصعود إلى الجبل القريب منه، ومع الصباح يصل إلى أعلى الجبل، وقد خارت قواه بسبب الجرح الذى أصابه والدماء التى خسرها، وعندما يرى بستانا جميلا مرتبا يقول فى نفسه: إن هذه المنطقة يهودية، ويذهب إلى هناك، ولكنه يفاجأ بأن الشاب الذى يقابله عربى، ويطلب الشاب منه أن يعود إلى أهله وإلا قتله المجرمون من العرب، إلا أن الولد لم يكن يستطيع التحرك فيأخذه الشاب ويعتنى به ويرجعه إلى أهله بعد أن كذب على المقاتلين العرب وقال لهم: إن هذا الولد يتيم وأنه أطرش وأخرس وقال له: إنى لا أستطيع أن أسلمك لهؤلاء البشر، لأنهم لا يداوون المرضى، إنهم حيوانات كاسرة وقبل أن يعيده الشاب إلى أهله يكشف له السر الخطير الذى دفعه لمساعدته، بقوله: لقد تعرفت على شاب يهودى اسمه جرشون علمنى معنى الحياة، لقد كان معلمى وصديقى فى الوقت نفسه، ولهذا فإننى أختلف عن هؤلاء القتلة[2].

انتزاع احترام الطفل العربى كانت ولا تزال إلى حد كبير أحد الأسس التى تبنى الصهيونية فلسفتها عليها فى الشرق الأوسط.

وتركزت قصص الأطفال على تثبيت الوعى عند الأطفال بأحقيتهم فى فلسطين باعتبارها إرثا قديما لهم وأنها هى أرضهم الدينية والتاريخية.. منها قصة «فلنهاجر» إلى القدس للمؤلفة الإسرائيلية راحيل منتيتسى جاء فيها:

[إن هذا التراب سوف يضعونه تحت رأس اليهودى عند دفنه حتى يشعر ذلك الذى يموت خارج أرض إسرائيل أنه يرقد على تراب فلسطين المقدسة][3].

وهناك أيضا تأكيد للمقولة الصهيونية «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»، والذى يمثل أساسا للفلسفة الصهيونية التى تحاول الدولة العبرية غرسها فى نفوس أطفالنا منذ الصغر،

---

(١) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

(٢) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

(٣) د. سناء عبد اللطيف- مرجع سابق.

ومحاولة تنشئتهم على قناعة أن البلاد كانت فارغة من السكان. فى إحدى القصص تأتى العبارة الآتية:

[قام يوسف وبعض رجاله بقطع البلاد (فلسطين) سيرا على الأقدام حتى وصلوا إلى الجليل، لقد تسلقوا الجبال والهضاب والتى كانت خلابة فى مناظرها ولكن فى الوقت نفسه كانت خالية لايسكنها أحد.. وقال يوسف: إننا نريد أن نقيم هنا المزرعة الجماعية (الكيبوتس) ومن هنا سندحر نحن هذا الفراغ وسنطلق على هذا المكان اسم تل حاى (التلة الحية).. إن الأرض خالية من السكان.. لقد ابتعد عنها أبناؤها (يقصد اليهود) لقد تشتتوا ولم يعتنوا بها، إنه لا يوجد من يحرسها أو يعتنى بها][1].

وهذه البلاد- فلسطين لم تكن فى عرف أدب الأطفال العبرى خالية من السكان فحسب بل إن أحدا لم يستغلها منذ أن طرد اليهود منها قبل ألفى سنة تقريبا وقد جاءت هذه الصورة لتبرر المقولة الصهيونية «الأرض العذراء». وفى أحد هذه الكتب تحكى عن قصة رجل وصل إلى فلسطين، وبعد أن عاش فى إحدى المزارع الجماعية (الكيبوتس) فترة معينة قرر أن يأخذ عائلته ويترك المزرعة الجماعية ويفتش له عن مكان آخر يعيش فيه، وسار فى أرض فلسطين «الخالية من السكان» قاطعا الجبال والوديان والسهول إلى أن وصل إلى بقعة من أجمل البقاع التى شاهدها فى حياته وعندما قال «سنسكن هنا» وبعد أن اتخذ القرار أقام كوخه الصغير، وأخذ يجوب الأرض المحيطة به وعندها: رأى حجرا كبيرا وذهب إليه وتفحصه جيدا، ووجد بعض الآثار عليه وقال لنفسه إن هذه الحجارة هى ما تبقى من قرية يهودية قديمة، يجب أن نغرس وتدنا هنا ونبعث هذه القرية اليهودية مرة أخرى، ونادى ابنه وقال: هنا على هذا التل سنسكن، هل ترى هذه الحجارة؟ إنها بقايا قرية يهودية قديمة، دعنا نجمع بعض هذه الحجارة ونقيم قريتنا الجديدة ولم يكتف الكاتب بهذا الإثبات القاطع أن الأرض عذراء منذ أن تركها اليهود، بل ذهب إلى أبعد من ذلك عندما عثر ابنه على لوحة رخامية وهو يحرث الأرض، وبعد أن أخرجها هو وولده وقام بغسلها وجد عليها رسمة «فانورا» أى الشمعدان الذى يعتبره اليهود رمزا لهم تستعمله دولة إسرائيل كشعار لها، وعندما تعجب الأب كيف أن هذه القطعة الرخامية كانت موجودة فى هذه الأرض منذ ألفى سنة وكيف أن أحدا لم يستغل الأرض ولذا عثروا عليها عندما عادوا إلى البلاد وهنا الكاتب لا يشير إلى أن الأرض كانت عذراء فحسب بل إن إحياءها وبعث الحياة الجديدة وإقامة القرية الجديدة كان بفضل اليهود[2].

---

(١) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

(٢) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

ويركـز الأدب العـبرى الموجه للأطفال علـى النواحى الدينية وتحتـل القصص الدينية مكان الصـدارة من الناحية العددية بين قصص الأطفال. وتسـتغل فيها المنطـق الدينى لغرس المبادئ الصهيونية منها ما جاء فى قصة «حسـمبا فى كمين عند الحدود» للمؤلف إيغال موزتسون والتى جاء فيها [لقد وعد الله أرض إسرائيل إلى الشعب اليهودى، وبما أنهم تحملوا الكثير من المثالب والمشاق خلال ألفى سنة من التشرد فقد حان تنفيذ هذا الوعد][1].

ويشـكل الدين عنصراً كبيراً فى قصص الأطفال العبرية، وتتراوح النسبة التى يشغلها- الدين اليهـودى- فـى هذه القصص ما بـين ٩٣، ٩٥٪ من مجموعة قصص الأطفـال- التى خضعت لدراسة أجرتها الباحثة أسماء بيومى المعيدة بجامعة عين شمس- فى حين يشغل اللادين حيزاً مقـداره ٤٪ فقـط، مما يؤكد على عمق تغلغـل الثقافة الدينية فى ثقافة الطفل الإسـرائيلى وهو ما يدحض الزعم بأن الثقافة العلمانية هى السمة المميزة للدولة العبرية[2].

على جانب آخر يركز أدب الأطفال على إبراز أبدية الاضطهاد اليهودى واسـتمراريته منذ بداية التاريـخ اليهودى وحتى الوقت الحالى، وأن الاضطهاد شمل اليهود فى كل مكان تواجدوا فيه وأنه كان من الشراسة بشكل يصعب معه مقارنته بأى اضطهاد وتعرض له أى جنس آخر فى العالم[3].

وبغيـة التملص من الشـعور بالذنب أمام الأجيـال القارئة يحاول بعـض الكتاب التطرق إلى الصراع الفلسـطينى- اليهودى قبل وأثناء قيام إسـرائيل- خصوصاً بعد أن اكتشـف أن الأرض لم تكن خالية من السـكان كما كانت تزعم الدعاية الصهيونية، لذلك اتهموا العرب- بأنهم هم الذيـن تنازلـوا بمحض إرادتهم عن الأرض وباعوها لليهود ولتقوية هذا الادعاء يأتى على لسـان عربى- وهو ما جاء فى قصة «يوريم فى إبريل» للكاتب إما لفين تلمى والتى جاء فيها [لقد باع أرض الأفندى (العربى) إنها أرضى أنا، باعها الأفندى ليهودى ذى شعر طويل، ما اسمه؟ إننى أتذكر اسماً واحداً فقط.. إسرائيل ولا أتذكر الاسم الأخير].

ويذهب الكاتب إليعازر سمولى فى قصته «أناس التكوين» إلى أبعد من ذلك عندما يضع حواراً بـين بطل قصته أناس وبين مجموعة من الشـيوخ العرب، وبعد أن يفرض هيبته عليهم يخبرهم أنه قد بدأ بإقامة قرية يهودية جاء فيها، [نظر الشيوخ إلى بعضهم وقالوا: بعناية الله يا خواجا أهلاً وسهلاً: إن هذه الأرض ليست أرضنا، لقد سمعنا أنها تابعة لليهود][4].

---

(١) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

(٢) خليل السواحرى وسمير سمعان، التوجهات العنصرية فى مناهج التعليم الإسرائيلية.

(٣) المرجع السابق.

(٤) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

بهذه السهولة يحاول الكاتب إقناع الصغار بوجهة النظر الصهيونية فى أن العرب تنازلوا عن فلسطين بمحض إرادتهم «أما المقولة» الأرض لمن يفلحها ويحافظ عليها «فقد برع الكاتب فى إظهارها بهذا الشكل [إن العرب الذين احتلوا أرضاً قبل ألف وثلاثمائة سنة أقاموا بها واعتبروها وطنهم، ولكنهم لم يفعلوا أى شىء لكى يحافظوا عليها من الخراب والدمار فى حين كانت بلادنا مأهولة بالغرباء، كانت أيضاً تتحول إلى أرض بور وقام أبناء إسرائيل بتعميرها].

ومن الملاحظ فى قصص الأطفال العبرية أيضاً أن الشخصية العربية الأساسية هى شخصية البدوى واستغلت الصهيونية عدم ارتباط البدوى بالأرض كى يبرهن أنه عابر سبيل فى فلسطين، فاليوم يسكن شمالها وغداً فى جنوبها وبعد غد فى مصر أو سوريا أو غيرهما من الأقطار المجاورة، فالبدوى لا يمتلك أرضاً، ولذا فإنه لا حق له على أى أرض. وبالتالى فهو غير مرتبط بالوطن ولا وطن له[1].

وفى معظم القصص التى تعالج موضوع البدوى يظهر فجأة ويختفى فجأة، كما أنه يقطع الحدود بلامبالاة، وهذه اللامبالاة ناتجة فى عرف الكتاب الصهاينة عن افتقاره للروابط التى تشده إلى بلاده دون سواها.

والبدوى يظهر فى القصص العبرية أيضاً لصاً ونشالاً كما جاء فى قصة «واحد منا» «ليميا تشرنوفيتش: والتى جاء فيها [فجأة سمع صوتاً يقول «اللهم» وشعرنا بأيد قوية تقبض علينا وتكبلنا، وظهر أمامنا شبحان يرتديان العباءة السوداء، إنهما لصان بدويان لم يكن ما سمعناه صرخات مزاح، ولم تكن لعبة أطفال أو مشهداً سينمائياً لقد كان حقيقة، فالشبحان كانا لصين حقيقيين، قاما بأسرنا ليتسنى لهما المطالبة بفدية لقاء الإفراج عنا][2].

أما ثورة الشعب الفلسطينى ضد احتلال بلاده فيصفها الكاتب بأنها «عمل رعاع» حرضه عليه بعض المحرضين، ففى قصة «استغلال إسرائيل» للكاتب «دافى» جاء فيها [إن بعض المحرضين من العرب ادعوا أن اليهود سيأخذون بلادهم منهم وقامت هذه الجماهير العربية المحرضة بحرق وتحطيم الممتلكات اليهودية][3].

أما أخطر ما فى هذه القصص أنها تركز على حتمية الحروب من أجل ضمان الوجود الإسرائيلى، مع إبراز الإسرائيليين بأنهم يعيشون فى جو محاصر بالأعداء لتأصيل فى نفوسهم مقولة «لا خيار إلا القتال»، وبذلك يعد الأطفال نفسياً لتقبل فكرة التجنيد الإلزامى عندما يصلون للسن المناسبة له[4].

---

(١) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

(٢) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

(٣) د. فوزى الأسمر المرجع السابق.

(٤) د. سناء عبد اللطيف المرجع السابق.

فالتعبئة للحرب وخوض المعارك تفرض نفسها بقوة على كتب الأطفال.

لذلك تظهر صورة العربى بما يتلاءم مع النظرة العدائية له، وبالتالى لا تهيئ الطفل للشعور بإمكانية إقامة علاقات من حسن الجوار أو التعاون مع العرب.

فتصور لهم العدو العربى دائماً بأنه دائم السعى للقضاء على جميع الإسرائيليين، وإغلاق أبواب البلاد فى وجه الهجرة اليهودية وتربط فى ذاكرتهم بين صورة الفدائيين وصورة التعذيب النازى لليهود تجعلهم دائماً مصدراً دائم الخطر والخوف، ومن ثم ترسخ فى نفوسهم النظرة للعربى، كعدو يجب محاربته.

هذه هى الملامح العامة للأدب العبرى الموجه للأطفال، وسنحاول الآن عرض المزيد من النماذج للأعمال الأدبية التى تبرز هذه الملامح بقدر أكبر من التفصيل.

كثيرة هى القصص الإسرائيلية التى توضح إلى أى مدى توظف فى تكريس الكراهية لكل ما هو عربى فضلاً عن تحقيره والسخرية منه والاستعلاء عليه، فتصفه دائماً بأنه كلب، قذر، قاتل مجرم، سفاح، نجس، خائن، كاذب، مغتصب قاس.

فجاء فى قصة شمعون:

تقدم اليهودى الطيب (شمعون) بهدية مهمة ومناسبة لصديقه العربى (أحمد) الذى يقيم الليلة حفلة عرسه وزفافه.

كانت الهدية عبارة عن (صابونة).. أحضرها لإدخال السرور على قلب صديقه، فرح العربى كثيراً، وقام بفتح الهدية أمام الحضور وابتلع منها قطعة وناول المتبقى فيها إلى زوجته العربية.

لكن شمعون بادر إلى صديقه موضحاً أن الهدية ليست قطعة حلوى بل صابونة للاستحمام وإزالة النجس والقذارة من على جسده المتسخ!!.

ومن قصة «القرية العربية»:

[إن شروط النظافة والمحافظة على الصحة تكاد تنعدم بين العرب، والإجراءات الصحية التى لا يستطيع الإنسان العيش ساعة واحدة بدونها غير متوفرة فى أية قرية عربية، حتى القرى الكبرى الغنية.... وعادة الاستحمام تكاد تكون غير مألوفة عند العرب، وهناك بعض الفلاحين الذين لم يمس الماء أجسادهم زمنا طويلا].

وهناك قصص أخرى تكرس النظرة الهمجية والوحشية للعرب منها قصة «إفرات» جاء فيها [أتى العرب أعمالاً وحشية ضد اليهود، بحيث بدا العربى كائناً لا يعرف الرحمة أو الشفقة، فالقتل والإجرام غريزة، ولون الدم من أشهى ما يشتهيه.

باغـت العرب اليهود واعتدوا عليهم كالحيوانات المفترسـة وراحوا يسـلبون ممتلكاتهم حتى المدارس والمعابد لم تسلم من بطشهم][1].

قصصهم دامية كأفكار زعمائهم، ليس فيها فراشات أو زهو، أو أغصان زيتون، وباعتراف أحد كتابهم فإن مثل هذه الأشياء الجميلة يجب أن تختفى من قصص الأطفال لأنهم فى غنى عنها، ما دام الهدف الأكبر هو إعدادهم للحرب[2].

وكان طبيعياً أن يشـب الأطفال فى إسـرائيل على هذه الحالة من الاسـتعلاء والتى يبدو أنها تشـكل ظاهرة باعتراف الناقدة الإسـرائيلية تامرا مازوز انعكست من خلال إقبال الأطفال بشدة علـى الكتب التى تركـز دائما على موضوع واحد «هو تصوير الأطفال اليهود بأنهم أطفال جبابرة عظماء لا يقهرون، يهزمون العرب الأغبياء بسهولة».

فى سلسـلة حكايات الطفولة للكاتب الإسـرائيلى لأون سـريغ.... وعنوانها «دانى دين فى حرب الأيام السـتة»، يقوم المؤلف بتشـويه صورة الجندى والمقاتل العربى، حيث يصف القائد المصرى الذى يداعب خنجره ويسـتمتع بنشـر الدماء من حوله أنه شخصية مشوهة، لعميل فى الاستخبارات المصرية، وأنه وحشى كأفعوان صينى، ومراوغ مثل ثعلب سورى إنه مجرم منذ أن كان فى بطن أمه، وكان فى طفولته أشبه بقاطع طريق منه بطفل طبيعى.

إلى جانـب ذلك تضاف أوصاف لأعمـال مرعبة قام بها ذلك الطفل تبدأ بقطع أذن أمه عندما عضها وهو ابن عامين، وتنتهى بعصابة قتلة يرأسـها وهو فى سـن العاشـرة فقط، فى كل فصل من الفصول الأربعة والعشـرين يظهر «دانى دين» بشكل يختلف عن الذى سبقه، وفى كل حالة يكون خارقاً ويلحق بالعرب الهزائم تلو الهزائم، لأن العرب فى نظره مخادعون أعداء قساه فجاء فى سـطورها [العرب مخادعون أعداء قساة أنظر إليهم نظرة الكراهية، ووجهة نظرى أن العرب يريدون قتلى وودت لو أفعل شيئاً أن أقبض على هذا العربى وببساطة أن أخنقه][3].

وكتاب «دانى دين» لا يختلف عن سائر قصص وكتب الطفولة الأخرى، فهو محشو بنفس الآراء وبنفس اللغة العنيفة التى تتسم بالسخرية والاستهزاء بآراء العرب الذين يعتبرهم على درجة متناهية من الحقد والجبن والدونية على عكس الأبطال العبريين الذين يعرفون بجرأتهم وببطولتهم.

وليـس هذا فقـط، فلهذه الكتب طابع آخر هـو تربية النشء ليرى فى الاحتـلال أمراً عادلاً ويتجاهل الشعب الآخر وحقوقه، حيث يقول:

---

(١) د. سناء عبد اللطيف– المرجع السابق.

(٢) السواحرى– أدب الطفل العبرى.

(٣) السواحرى– المرجع السابق.

[لنا كل هذه البلاد من بلادهم، وأنها ستعود وتصبح كلها لشعبنا فيا جنود إسرائيل، الوطن المستبعد ينتظركم بفارغ الصبر فتقدموا وحرروا يهودا وإفرايم].

وكان أشهر من ألف فى مجال قصص الأطفال الإسرائيلية «حازى لوفيان» الذى كان يعمل فى الماضى محرراً لمجلة الجيش الإسرائيلى (بمجاتية) بالإضافة إلى عمله كخبير هيئة الأركان العامة فى الجيش وفى الشئون العربية، كما كان محرراً أيضاً للمجلة الأسبوعية «ريمون» – قنبلة – وفى كتاب «مائة وعشرون قصة وحكاية متخصصة» للقاص (شارغاجفنى) والذى يحمل فى كل قصة اسماً مستعاراً يصف العرب بأنهم قتلة يهاجمون المستوطنات، وأن سلوك اليهود تجاههم يكون دائماً مثالياً. وفى كتاب (رجال فى التكوين) تأليف أليعازر شموئيلى (أحد فلاسفة التربية الصهيونية فى وزارة المعارف) منذ طبعته الأولى عام ١٩٣٣ وحتى طبعته الثانية عام ١٩٧٢ ترد أوصاف الإنسان العربى بأنه طويل القامة عريض المنكبين يلمع فى عينيه بريق الغضب، وجهه قاس وشاربه مدبب يرتفع على شكل قرنين، عيناه صغيرتان، تدور دوماً فى محاجرهما وأنفه نسرى معقوف، وفى كتاب بعنوان «ليس على جادة الصواب» يظهر (إليعازر شموئيل) الإنسان العربى بشكل مرعب مما يدعو إلى بث الخوف والرعب فى قلوب الأطفال وزرع الحقد فى أذهانهم، مع تشويه صورة الإنسان العربى بكل المعايير والمقاييس. وفى كتاب «أولاد المدينة القديمة وحربهم ضد المتسللين» تأليف: (حاييم أليساف): يبرز بطريقة أكثر شمولية أسلوب تقبيح صورة الجندى العربى، حيث يتخيل جندياً أردنياً فى الجيش العربى الأردنى، بعينين حادتين جاحظتين تتطلعان بكره نحو اليهود ومتعطشين للدماء[1].

على جانب آخر تتعمد كثير من كتب الأدب العبرى للأطفال تشويه التاريخ لإنكار حق هذا الشعب الفلسطينى فى أرضه وقصة «اسحق بن تسفى فى حبرون» للمؤلفة رنا هرفون فهى واحدة من هذه القصص المليئة بالمغالطات التاريخية، فتظهر فيها أسماء الأماكن لتدعى أنها عبرية، لكنها فى الحقيقة أسماء كنعانية عربية وهى تسير وفق النهج الصهيونى الرامى إلى إثبات أن الأرض الفلسطينية أرض يهودية وأن العرب مجرد لصوص وقطاع طرق ومغتصبون لهذه الأرض.

وهذا هو نص القصة[2]:

[فى أحد أيام الصيف الحارة خرجنا فى رحلة قصيرة من أورشليم إلى حبرون، كان برفقتى راحيل ودافير فيشار وتيسحاق، وكلهم من الشبان الصغار من مواليد حبرون ومن تلاميذ دار المعلمين فى أورشليم يقطنون مع أسرهم فى مدينة حبرون حيث كانت الطرق المؤدية إليها معروفة جيداً من قبلهم.

---

(١) التوجيهات العنصرية– المرجع السابق

(٢) المرجع السابق.

مالت الشمس إلى المغيب فانخفضت درجة الحرارة وارتفع البدر فى عنان السماء لينير الطريق المؤدية إلى حبرون، لم تكن هناك فوانيس لإضاءة الطريق فى قلب المدينة ولا خارجها، كما لم يكن السبب فى جولتنا فى هذا الليل الحالك ارتفاع درجة حرارة الصيف لأن الليل كان أكثر أمناً وضماناً بالنسبة إلينا من ظهور اللصوص والهجمات العدائية فى ساعات النهار، حيث لم نصادف أى إنسان فى طريقنا لا راجلاً ولا راكباً على حمار.

كانت الطريق من برك سليمان حتى حبرون مقفرة وخالية من أية مستوطنة أو مركز يهودى، على رغم أنها مليئة بالذكريات التاريخية العظيمة، منذ عهد آباء الأمة من زمن القضاة ومنذ أيام ملوك يهوذا أو الهيكل الثانى – أما أسماء المواقع التى يمرون بها اليوم فهى عبرية سابقة، وأحياناً تحمل هذه المدن أسماء عربية وأحياناً أخرى تبقى هذه الأسماء دون تغيير. انظروا الآن إلى أطلال وخرائب بيت زكريا الذى بنيت فيه قبور أبطال الحشمونيين الذين حاربوا جيش اليونان المدرع بما فيه من كتائب خاصة تستخدم الفيلة التى يقودها الهنود وجيشه المزود بالدروع، وفى هذا الموقع سقط البطل إليعازر شقيق يهود المكابى الذى قتل الفيل وسائقه.

نحن نسير الآن نحو حبرون عبر طريق قديمة مبنية من الحجارة الكثيرة كحجارة الحائط الغربى للهيكل فى أورشليم ويدعى هذا المكان (الونى ممرا) وهو يحمل اسم أحراج البلوط فى ضواحى الخليل، وكان أبونا إبراهيم الخليل قد أمضى وقتاً فى (الونى ممرا) عندما ظهر له الملائكة الثلاثة فى هذا الموقع، وممرا هو اسم أحد إخوة الأموريين من أبناء الحيثيين أصحاب الخليل (حبرون) اشكول، منار، ممرا، وهم أصحاب ميثاق إبراهيم.

واستعمل هذا المكان فى العهد الرومانى كسوق كبير لبيع الأسرى وفيه باع الامبراطور هدريانوس الأسرى اليهود بعد ثورة باركوخبا عام ١٣٢ وهو الذى بنى فى هذا المكان حصناً له.

ودعى هذا السوق فى عهد التلمود (بوطنا) وكان سوقاً للعبيد ليس فقط فى عهد روما الوثنية بل حتى فى العهد البيزنطى.

جذبت حسرات الماضى والحاضر أفندينا إلى حبرون (الخليل) ومغارة المكفيلا والحى اليهودى فيها، على رغم أن الدخول إلى ضريح الآباء محظور لكل من هو غير مسلم، ولم يسمح لليهود بالصعود أكثر من سبع درجات فى ساحة المغارة (مغارة المكفيلا) ومضينا فى سيرنا عبر شارع اليهود فى حبرون الذى كان يسكن فيه أصدقاؤه لقد استقبلونا باحترام، وبقلوب مفعمة بالمحبة، وأنزلونا فى بيوتهم فى الجيتو الضيق (حى اليهود الضيق). فى تلك الفترة كانت حبرون اليهودية تتنامى وتكبر وتعيش فيها حوالى ألفى نسمة من اليهود فهم ٢٦٦ من الإشكناز، وفى نهاية جولتنا

قمنا بزيارة الكنيس القديم الذى أقيم فى وسط الجيتو، بالإضافة إلى المدرسة الدينية المعروفة التى أسسها الراهب المقدس حزقيا الذى ينتشر اسمه فى البلاد وسائر أرجاء المهجر](١).

وأظهر استطلاع إسرائيلى للرأى مدى التأثير الخطير لقصص الأطفال على نظرتهم للعرب، ومدى استعدادهم للحياة فى سلام وصداقة معهم، وكانت أبرز نتائجها.

أن مستوى الخوف من العربى كبير للغاية، وصف ٧٥٪ من الأطفال العربى بأنه شخص مختطف الأطفال، وقاتل، ومخرب ومجرم، وصف ٨٠ ٪ منهم العرب بأنهم رعاة الأغنام يعيشون فى الصحراء، وجوههم مخيفة وقذرة.

ورفض ٩٠٪ منهم حق العرب فى البلاد أو التعايش معهم.

أما السبب فى ذلك فلأن العرب– من وجهة نظرهم– يريدون قتلهم وطردهم من البلاد(٢).

باعتراف الكاتب اليهودى البروفيسور إديركوهين المتخصص فى التربية فى جامعة حيفا فى كتاب له حول انعكاس شخصية العربى فى أدب الأطفال خلص إلى القول إلى أن غالبية الكتب المعروضة فى السوق للأطفال تشوه الشخصية العربية وتنمى بين أوساط قرائها مشاعر الكراهية للعرب والاستخفاف بقوتهم وقدراتهم العقلية(٣).

ويرى الباحث أن هذا الاتجاه كان هو السمة العامة لأدب الأطفال فى الخمسينات والستينات، أما فى السبعينات فبالرغم من ظهور بعض القصص النادرة التى تحاول أن تقدم بطلاً عربياً، وهو ما يمكن اعتباره بداية نحو التعامل مع شخصية العربى كإنسان وصاحب حق، ومن هذه الكتب النادرة أعمال دفورة عومر وبنيامين تموز (دوريت أورغاد وموشيه بن شاؤول) إلا أن هؤلاء الكتاب. كما يؤكد الباحث– حاولوا فى قصصهم التعامل مع العربى بضوء إيجابى فى مواجهة نوع من حالة تأنيب الضمير والإحساس بأن شعبهم يضطهد شعباً آخر، وفى سبيل دفع ضريبة على الورق– والتظاهر بالليبرالية. ومن هذا طغت على أعمالهم سمات الصنعة والافتعال وبدا العربى فيها شيئاً من أشياء الطبيعة يحبه البعض كما يحب زهرة برية ولم تحمل شخصيته خصائص الحركة الفردية المستقلة بل ظل يتحرك فى إطار الشخصية العربية المستحضرة لأغراض إسرائيلية محضة– أغراض انتقاد المجتمع الإسرائيلى، وفى مقابل هذا الاتجاه وعلى النقيض بدأت تتغلغل فى قصص المغامرات الرائجة المروجة– لأفكار أرض إسرائيل الكاملة. فالبطل الحورى لقصة «الرياضيون الصغار عائدون»(٤).

---

(١) التوجيهات العنصرية– المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أنطوان شلحت. أسطورة التكوين– الثقافة الإسرائيلية المنفقة.

(٤) أنطوان شلحت– المرجع السابق.

لأفنير كرميلي هو صبى يعيش مع والديه وإخوته فى مستوطنة كونيالية فى الضفة الغربية المحتلة، وحلم هذا الصبى هو أن تزداد هنا وهناك فى الضفة الغربية المستوطنات الكونيالية مردداً لمقولة [إن أية قوة فى العالم ليس بمقدورها أن تقتلع شعباً من وطنه][1].

فى هذه القصة يعلن الكاتب صراحة أن العربى الصالح هو العربى الميت أو العربى الذى انصهر منه الشعب العبرى، ولذلك فهو يدعو جميع الشبان العرب إلى الانصهار فى الشعب العبرى مبرراً ذلك بمفهوم استعمارى من نوع جديد يقوم على اعتبار العرب فرعاً من سلالة بنى إسرائيل[2].

فيكتب فى وصف الشباب العرب الذين قرروا ربط مصيرهم بمصير بنى إسرائيل «بدأ عدد من الشبان الناطقين باللغة العربية يؤمنون بأنهم من سلالة بنى إسرائيل القدامى الذين بقوا فى البلاد ولم يذهبوا إلى المهجر بعد أن خربها الرومان، وعندما احتل العرب البلاد اضطرت غالبية أبناء البلاد الإسرائيليين إلى قبول دين المحتلين وعاداتهم رغماً عنها، والآن هكذا آمن هؤلاء الشبان العرب بأنه أزفت ساعة الرجوع إلى حضن شعبهم الحقيقى شعب إسرائيل والمشاركة فى عملية انبعاثه العظيمة فى وطنه[3].

غالبية قصص الأطفال الإسرائيلية باعتراف البروفيسور كوهين تحمل هذه الأفكار المماثلة لأفكار أفنيركرميلى. هذه القصص التى تدخل ضمن إطار ما يطلق عليه– الأدب الفاسق–المنحرف يراها ظاهرة عامة، حتى يكاد كل طفل يهودى يقرأ هذه القصص لابد وأن تتكون لديه أفكار مسبقة عن وحشية وعنف العرب.

القصص التى تزرع فى عقول الصغار الكراهية والحقد على العرب ودفعهم إلى عدم الثقة بهم والتعامل معهم باعتبارهم فى مستوى أدنى من اليهود كثيرة من هذه القصص «قصة الزيارة» والتى تعد نموذجاً للقصص الصهيونية الهادفة إلى غرس المبادئ العنصرية الحاقدة القائمة على تخويف النشء اليهودى من الإنسان العربى وتحذيرهم من مغبة الوثوق به أو الغفلة لحظة عن الأخطار المحيطة بهم[4].

وسنورد فى السطور التالية تفاصيل هذه القصة للتعرف إلى أى مدى تكرس هذه القصص الإسرائيلية مشاعر القلق والخوف فى نفوس الأطفال.

---

(١) أنطوان شلحت– المرجع السابق.
(٢) أنطوان شلحت– المرجع السابق.
(٣) أنطوان شلحت– المرجع السابق.
(٤) السواحرى– المرجع السابق.

وصل أطفال روضة (شيكد) إلى روضتهم فى ساعات الصباح كالمعتاد حيث سارعوا إلى تحية عاملة الحديقة (ريبكا) والمربيات فى الروضة، وبعد ذلك توزع الأطفال كل إلى الزاوية المحببة لديه عفرا وشيرى إلى زاوية الرسم وتناولتا الأوراق وألوان الرسم ثم بدأتا بإعداد الرسومات المختلفة والجميلة، أما ابيشايو يوثاب فكانا منهمكين فى إعداد برج عال من مكعبات الأخشاب الملونة والكبيرة، معين ويئير وعمرى توجهوا إلى زاوية الألعاب فى حين ذهب ينيب إلى المكتبة، أخرج منها كتاباً ثم أخذ يقص على نفسه قصصاً ظريفة، وذات أهمية، وبينما الجميع منهمكون كل فى زاويته المحببة سمعوا صراخاً قادماً من الحديقة وكان هذا صوت شولا. لقد رأت شولا جسما غريباً فى داخل الحديقة وأرادت أن تنبه زملاءها الأطفال وعندما نزل الأطفال إلى الحديقة أشارت شولا بيدها المرتعشة إلى الجسم الغريب، وقد أحسن أطفال الروضة صنعاً حين سارعوا إلى الاتصال بقوات الشرطة التى وصلت المكان على عجل، وقام رجالها بإخلاء روضة شيكد من الأطفال الصغار والمربيات وعاملة الحديقة ثم كشفوا الجسم الغريب فكان عبوة ناسفة صغيرة وضعها مجهولون فى الحديقة ولا شك أنهم من الأعداء– فى إشارة للعرب– وتم تفكيك العبوة بسلام وقدم رجال الشرطة التهانى والكلمات الحلوة إلى شولا وزملائها أطفال الروضة على يقظتهم العالية وشدة انتباههم وتصرفهم الحسن وطلبوا منهم ألا يترددوا فى الاتصال برجال الشرطة إذا ما شاهدوا أى جسم غريب فى الحديقة أو أى مكان آخر يذهبون إليه. وبعد مغادرة رجال الشرطة عاد الأطفال إلى روضتهم واتجه كل منهم إلى زاويته المحببة.

حين عادوا إلى الانهماك فى ألعابهم مرة أخرى شعروا فجأة بأن باب الروضة ينفتح ويقف فيه طفل جديد، كان الطفل يقف فى الباب مسمراً وكأنه يخشى من التحرك. كانت الطفلة أورلى هى أولى من شاهد الطفل الجديد فنادت على زملائها أيها الأطفال انظروا إن عندنا فى الروضة ضيفا. هنا أوقف جميع الأطفال الألعاب والمطالعة والرسم ووجهوا أنظارهم باتجاه الطفل الجديد، أما الضيف الجديد فكان ما يزال مسمراً فى مكانه خجولاً وتائهاً، وكانت عيناه ذابلتين ووجهه يقطر عرقاً من شدة الحياء والخجل، كان يبدو مختلفاً كلياً عن أطفال الروضة، شعره ذهبى أملس وعيناه زرقاوان كأنهما السماء بشرته بيضاء فى حين أن بشرة جميع أطفال الروضة تميل إلى الشوكولاته وحتى ملابسه كانت غريبة تختلف، إنه طفل غريب من بلاد غريبة.

ما اسمك أيها الطفل، سأله يوثاب:

رفع الطفل الضيف عينيه الزرقاوين دون أن يتكلم:

إنه لا يحسن الحديث قالت عفرا. أنت مخطئة– قالت لها عاملة الحديقة–: إنه يعرف التحدث ولكن بلغة أخرى، إنه يتحدث الإنجليزية، هذا الطفل يسمونه الإنسان، وهو من إنجلترا، وقد جاء ليحل ضيفاً فى الروضة ليوم واحد.

مرحباً أيها الإنسان، قال له يئيرا وابتسامة تعلو شفتيه والابتسامة هى لغة ولكن دون كلمات، ابتسم الطفل الضيف ليئير وبعد دقائق أخذ الأطفال الطفل الجديد معهم إلى زوايا الألعاب المختلفة وعرضوا عليه جميع اللعب وحاولوا تعليمه قليلا من العبرية.

أمضى الطفل الضيف مع أطفال الروضة يوماً كاملاً ولعب معهم بكل الألعاب وذهب معهم إلى بركة السباحة الصغيرة وجلس معهم حول مائدة الطعام، لم يكن يستطيع التحدث معهم ولكن بريق الفرحة فى عينيه أكثر من ألف كلمة.

عندما ودع الطفل الضيف أطفال الروضة قال لهم: سلامو إلى اللقاء بالعبرية وقد صفق له الأطفال جميعاً لشدة فرحتهم به وتعلقهم به.

قال تمار للمربية: هل تعرفين: لقد أصبحنا فى النهاية أصدقاء حميمين حتى دون أن نتفوه بالكلمات عندها نظرت المربية تسيفورا إلى أطفال الروضة نظرة إعجاب وتقدير وقالت: ليت الكبار يتعلمون من الأطفال الصغار هذه اللغة. لغة دون كلمات. لغة الصداقة والحب.

أيها الأطفال الصغار فى جميع أنحاء البلاد ابتسامتكم للضيوف الأجانب القادمين لزيارة البلاد تساعدنا فى كسر عزلتنا، وفى تطورنا وازدهار بلدنا[1].

القصة السابقة تكشف إلى أى مدى تحاول إسرائيل غرس بذور الشك والتخوف من العرب فى المقابل تشجع صغارها على كسب ود الغرب وتجعل منهم الإنسان الصديق الصدوق، وتحثهم على مبادلته الحب والصداقة والثقة فيه.

نموذج آخر لقصص الأطفال التى تتعمد الإساءة للعرب وتصورهم بأنهم لصوص وقطاع طرق ويظهر ذلك واضحاً فى قصة «أحقاً». للكاتبة ميمية تشرنوفيتش أفيدار، وهذا هو نصها [كان يوسف ترومبلدور جندياً متمرساً فى جيش القيصر الروسى، وعندما نشبت الحرب بين روسيا واليابان عام ١٩٠٤ قاتل ترومبلدور ضد اليابانيين ببطولة، فجرح وقطعت يده وبعد أن شفى من جراحه طالب بأن يعيدوه إلى جبهة القتال. أثناء الحرب أسر ترومبلدور من قبل اليابانيين، والده الذى كان يهودياً متحمساً، ربى ابنه وثقفه ليكون يهودياً فخوراً، ومحباً لأرض إسرائيل، وهكذا فى معسكر الأسرى قام ترومبلدور بتنظيم الجنود اليهود، نأوا بأنفسهم عن محاربة الجيوش الأجنبية مفضلين الهجرة إلى أرض إسرائيل والكفاح من أجل أرض الوطن، وهذا بحد ذاته يعتبر أوسمة شرف وتميز للبطولة والشجاعة التى نبديها حين نهاجر إلى البلاد، وبالفعل هاجر ترومبلدور مع مجموعة من الشباب اليهودى ممن كانوا معه فى الأسر إلى أرض الوطن، وعملوا أولاً فى مستعمرة وجانيا والمجدل قرب طبريا كعمال زراعيين، حيث كانوا يعملون فى

---

(١) السواحرى- المرجع السابق.

النهار ويحرسون فى الليل لحماية المستوطنات من اللصوص، قطاع الطرق العرب الذين يهاجمون المستوطنات القليلة المتناثرة فى الجليل الأسفل، حيث كانت البلاد فى حينه تحت سيطرة العثمانيين الأتراك الذين كان يوسف ترومبلدور يكرههم ويقاوم سلطتهم، كثيراً ما لاحقوه ورغبوا فى اعتقاله إلى أن اضطر إلى مغادرة البلاد فترة من الزمن فى هذه الأثناء احتل الإنجليز البلاد من أيدى الأتراك وأصبحت أرض إسرائيل تحت سلطة الانتداب البريطانى.

عاد يوسف ترومبلدور واستقر فى منطقة (تل حاى)- الجليل التى أصبحت تعرف بعد تغيير اسمها العربى بآخر عبرى باسم (تل حاى)- ففى عام ١٩٢٠ تحصن يوسف ترومبلدور وزملاؤه فى ساحة (تلحا) وأعدوا أنفسهم لمهاجمة المعتدين العرب من عشائر الغوارنة- بيد أن العرب دخلوا بالحيلة إلى هذه الساحة بحجة أنهم لا يريدون مهاجمة اليهود، بل جاءوا يبحثون عن ضباط فرنسيين تسللوا إلى (تل حاى) وأنهم سيقومون فقط بإجراء تفتيش عليهم والخروج مباشرة بعد أن يتموا عملهم. هكذا قال المسلحون العرب، وفى اللحظة التى سمح فيها اليهود للرجال العرب بالدخول إلى الساحة. فى هذه اللحظة فتح المسلحون النار فأصابوا كل المدافعين فقتلوا سبعة وجرحوا الكثيرين ومن بينهم يوسف ترومبلدور الذى كانت جراحه كبيرة، وقبل المساء أخلى الجرحى إلى كيبوتس كفارجلعادى. وفى الطريق وبالرغم من جهود الأطباء لإنقاذ حياته أسلم البطل الروح. وقبل موته لفظ ترومبلدور مقولته الأخيرة: «ليس هناك أفضل من الموت من أجل بلادنا»[1].

ليس غريباً أن تحوز اعجابهم أيضا كتب «كارل ماى» الكاتب الألمانى الذى لاقت قصصه فى أدب الطفولة استحساناً وشرعية رسمية من قبل ألمانيا النازية لتعم بين الأطفال والناشئة الإسرائيليين لما تتسم به من أشد درجات العنصرية غلواً، وما يتخللها من عنف ودلالات التمييز العرقى الشوفينى، التى تتميز بتوصيف الإنسان الأبيض بأنه المتفوق كامل الأوصاف والخصائص، كما يمثله ذلك المغامر الألمانى الآرى الذى يواجه صعوبات معقدة تشكل خطراً محدقاً على حياته، ولكنه يظفر فى النهاية بالنصر بفضل قوته الجسدية الخارقة التى لا تخور ونبل خصائصه، حيث تجاوز النصر الذى حققه لذاته إلى رفاقه فأنقذهم فى سبيل تحقيق العدالة!!

ولعل الظاهرة البارزة الملفتة للنظر هنا أن كتاب القصة اليهود بدأوا بتأليف قصص الطفولة فى قمة النشاط النازى عام ١٩٤٢ إبان المعارك الطاحنة فى الحرب العالمية الثانية التى كان يسعى من خلالها (أدولف هتلر) مستشار ألمانيا النازية وزعيمها لفرض سيطرته على العالم انطلاقاً من دعوات وشعارات لا مثيل لها فى التاريخ فى عرقيتها وعنصريتها وعدائها للجنس البشرى، فقد

---

(١) السواحرى- المرجع السابق.

شـرع الكتاب اليهود منذ عام ١٩٤٢ بترجمة ثلاثين كتاباً وضعت بين أيدى الأطفال والناشـئة اليهود أبرزهم م. ز وولفوبسـكى فى قصة الرئيس الهندى الأحمر عام ١٩٤٢ ولصوص الصحراء، ترجمة أ. أ عقبا عام ١٩٤٨، واليد صانعة الانفجار، ترجمة ى. هيرشـبرغ عام ١٩٥٢، والغرب المتوحش ترجمة ح. ترسـى عام ١٩٥٣، وفينتوا ترجمة نوح مان عام ١٩٥٧. وأولدشـور هاند، ترجمة عوديد أفيلر عام ١٩٦٨، ثم قصص كارل ماى، ترجمة ب فيكلير عام ١٩٦٨، وعلى رغم محاولة غالبية المترجمين اليهود إضفاء أسـلوب أكثر تشويقا- ورقيا مما ورد فى الأصل- إلا إنه لم يكن بإمكانهم تطهيرها أو تنظيفها بالكامل من لغة البطولة ذات النبرة العنصرية القومية، التى تفوق فى غلوائها أى نبرة استعلائية، وفى تحقيرها أى نظرة دونية للآخر (العرب).

وكشـفت دراسة إسـرائيلية عن صورة العربى فى أذهان الأطفال الإسـرائيليين، جاءت على النحو التالى:

العيـش فـى الصحراء، صانع الخبز، يلبس الكوفية، راعى بقر ذو سـحنة مخيفة فى وجهة ندبة وقذر ونتن وتنبعث منه رائحة كريهة. إن الجهل التام المطبق المقصود لذاته بشـكل العربى وهيئتـه وهندامه وتاريخه وحاضـره ومعتقده وعاداته، أدخل فى أذهان الطلبة اليهود أن العرب أصحاب شـعر أخضر ولهم ذيول وأنهم ليس لهم حق فى البلاد (فلسـطين) ويؤمنون بأنه ينبغى قتلهم أو شـنقهم وترحيلهم، وقلائل فقط من الطلبة حاولوا شـرح أسباب النزاع مع العرب بقدر مناسـب من التفصيل، واكتفى الباقون بجمل مقتضبة ومبتورة من سـياق التاريخ مثل إنهم (أى العرب) ينوون قتلنا، وتشـريدنا من البلاد. واحتلال مدننا، وقذفنا فى البحر، وبالنسـبة للطلبة الذين يرغبون فى السـلام يرون أن «السـلام» ينبغى أن يعنى تسليم العرب بالسيادة الإسرائيلية على أرض إسرائيل الكاملة بما فى ذلك الضفة الغربية وقطاع غزة.

واتفق الطلبة على رأى خطير للغاية يتلخص فى طرد العرب من فلسـطين (إسـرائيل) بحيث يجب طرد عائلة أى عربى يقف فى وجه مشاريع الحكومة الإسرائيلية وتطلعاتها، ومن ثم طرد أهالى قريته أو مدينته برمتها.

فالعـرب فى نظر هؤلاء الطلبة كارهون لنا (اليهود) ولا نسـتطيع التوصل معهم إلى سـلام، لأنهـم يعتقـدون أنهم (أى العرب) أخذوا أرضنا، كما يعتقد هؤلاء الطلبة أنه يجب نقل العرب إلى أى دولـة لأن لهـم عدة دول عربيـة، بينما نحن (اليهود) لنا دولة واحدة، فقط، وبسـبب سـفك الدماء فى هذه البلاد، يظهر أشـخاص مثل مائير كاهانا ورحبعام زئيفى صاحب نظرية الترانسـفير وعوافاديا يوسـف صاحب مقولة العرب صراصير فى زجاجة، وكلهم يطالبون بطرد العرب من البلاد.

وتعد سلسلة الأطفال الشهيرة والمعروفة باسم «حسمبا» مثالا صارخا على العنصرية التى تتميز بها قصص الأطفال الإسرائيلية، وباعتراف باحث تربوى إسرائيلى متخصص فى كتابة قصص الأطفال هو «أرونيل أوفيك» فإن هذه السلسلة تشكل خطرا على اليهود والصغار لتكريس الصورة النمطية للعرب.

أما الذى حفز الكاتب يغتلا موسينزدن- مؤلف سلسلة حسمبا- على اختيار هذا النمط من القصص فهو إدراكه مدى إعجاب الأطفال اليهود بشخصية طرزان المنقذ المصاحبة دائماً لأكثر حيوانات الغابة تندرا أو البهلوانية (القرد) تماماً كالقرد الذى يصاحب ويرافق (حسمبا) فى جولاته ومغامراته ليسهل انتقال الأطفال اليهود من طرزان إلى (حسمبا) الذى يعد مجموعة من المغامرين متحدة فى شخص واحد، وكان المناخ العام لتلك السنوات منذ الخمسينات تتميز بما يوصف بالنضال اليهودى والحرب من أجل إنشاء إسرائيل بعد تغلب العصابات اليهودية (الهاغانا) إتسل وليحيى على المقاتلين العرب.

تدور أحداث القصة حول ثمانية أولاد أعضاء فى مجموعة «حسمبا» وهم القائد يارون زها فى وتمار نائبه وأيهود السمين وغرى أمين المستودع وموشيه برجمئيل (ابروفسور) ومنشية اليمنى وزملائهم يحاربون الشرطة البريطانية ويخلصون مخبأ الأسلحة التابع لـ (الهاغانا) وينقذون فى عملية جريئة قائد السرية من المعتقل، ويوفرون الحماية لسفينة مغامرين، ويحوزون على أوسمة تقدير من قبل القيادة العامة. وقد حظى هذا الكتاب بنجاح باهر وظهرت فى أعقابه على فترات متقطعة أربع وعشرون قصة أخرى فى سلسلة حسمبا. وفى الكتب الأخيرة من هذه السلسلة التى صدرت قبل بضع سنوات ومن بينها «حسمبا» فى غزو قناة السويس التى صدرت عام ١٩٧٠ وحسمبا فى مواجهة الخاطفين التى صدرت عام ١٩٧٧، وحسمبا فى سلاح الجو هذه السلسلة خلقت ما يمكن اعتباره موجة جديدة فى أدب الأطفال العبرى، وفقاً لما بشرت به صحيفة هآرتس فى ملحقها الأسبوعى الصادر يوم ١٠- ٤- ١٩٧٠، وفى مقابلة مع صحيفة (دفار) كانت قد نشرت يوم ١٧/ ٦/ ١٩٧٠ شرح موسنيزون سر نجاح حسمبا بقوله: استجابت كتب حسمبا مع غريزة المغامرة المتأصلة فينا جميعاً، وخصوصاً لدى الأولاد إذ يصعب أن تجد ولداً لا يتماثل معه فتيان فى مثل عمره، ينفذون عمليات عادة ما يكون تنفيذها من نصيب البالغين. عمليات منسجمة تماماً مع قدر كبير من الخيال والدقة فى تطبيقها وفى قيمتها المقدسة وعلى أية حال ففى جميع القصص الخمس والعشرين يخوض أولاد حسمبا عن طريق السلاح معارك مختلفة ويتغلبون على لصوص الخيول وجواسيس سلاح الجو، وعلى مجهول يرتدى قناعاً أسود وعلى سائر الأنذال، ويتخلصون من أسر الجيش العربى ويتعاركون دون وجل، مع من هم أشرسهم بأساً وعنفاً كما يعبر عنه ذلك المقطع التالى[1].

---

(١) السواحرى- سمعان- المرجع السابق.

وفى أثناء ذلك كان عزور ويارون زهافى متعانقين ومتلاصقين يوجه كل منهما إلى الآخر ضربات موجعة ودقيقة غير أن عزور هب لمساعدة يارون وسدد صوب الجاسوس لكمة جانبية جعلته يركع ويسقط أرضاً ومن قصمة حسمبا فى أسر الجيش العربى جاء فيها: إذا حظر عليك أهلك أيها القارئ الصغير المشاركة فى عمليات تنطوى على أخطار ففى ذلك إثبات على أنك تتربى على أيدى أهل خطرين، ومن حقك أن تتحرر عليهم، وأن تذهب إلى عمليات كهذه على رغم خطرها، وهذا هو ما فعله دانى حقا، إذ تمرد على أهله وانطلق إلى القيام بعمليات يقف لهولها شعر الراعى.

مخالطات وافتراءات تزخر بها قصص الأطفال الإسرائيلية تصب فى النهاية فى اتجاه هدف واحد وهو تشويه صورة العربى وتحقيره والتقليل من شأنه، وإظهاره بصورة المتخلف الرجعى القذر الهمجى، وإظهار صورة اليهودى على العكس تماماً ليأتى متحضراً قوياً قادراً على صنع المعجزات.

قصة المرأة العربية للمؤلفة نوريت زرحى تضرب مثلاً صارخاً فى ذلك، وهى تحكى قصة طالبة عربية أدخلت إلى السكن الداخلى للطالبات اليهوديات فتبدو مذعورة جاهلة باستخدام أبسط الأدوات- استعمال مرافق الحمام- الأمر الذى حولها إلى موضع للسخرية والتندر، وبلغت الافتراءات حد أن الكاتبة تورد على لسان الفتاة العربية أن العربى يستحم مرتين فى العام إحداهما فى العيد الكبير والأخرى فى العيد الصغير.

وهذا هو نص القصة[1]:

[ها هو ذا الحمام سارعى الآن للاستحمام، فالعادة عندنا فى هذه المؤسسة أن تستحم مرة واحدة فى اليوم. خرجت وغادرت المكان، بينما بقيت معين وقفن ينظرن إلى باستغراب. نظرت من حولى فوجدت أن كل شىء جميل الأرضية من الرخام والحيطان تلمع. اقتربت أكثر فأكثر إلى الحمام، كانت مرافقه تتلألأ بحنفيات مصنوعة من الذهب، فيها المياه الساخنة أو الباردة. شاهدتهن وهن مستلقيات، اقتربت من حوض الحمام. صرخن بى نحن لا نكتفى بغسل الجزء الأسفل من جسمنا بل جسمنا كله.

قلت لهن: لكنى اغتسلت فى العيد، وأبلغتهن هذه الحقيقة. فنظرن إلى وقالت إحداهن: أنت لست زهرة تستحم وتغتسل حسب فصول السنة. أنت إنسانة «ادخلى إلى الماء واستحمى لأنه ليس بإمكانك أن تسكنى معنا وأنت قذرة ورائحتك نتنة».

كن جميعاً عاريات ركضت باتجاه الباب، لكن واحدة منهن كانت تراقبنى وتترصد لى، فمنعتنى من الخروج.. نظرت إلى أعلى، واعتقدت أننى أستطيع القفز إلى الخارج من أى نافذة،

(١) التوجيهات العنصرية- المرجع السابق.

لكنهـن أحطـن بكل الغرفة، تمكنت أن أزحزح إحداهن، الواقفة عند الباب، لكنى لم أستطع أن أبعدهـا كثـيراً، فقـد كانت عارية تماماً.. قالـت لى بهدوء.. ادخلى إلى المـاء ورددن وراءها ادخلى ادخلى. وعندها أحطن بى وكأننى مخلوق غريب، فجأة سمعت صوتاً يخاطبنى: ادخلى يا فرحيا أنا مسرعة إليك، وإلا سألقى بك إلى الماء على رغم أنفك.. اندفعت إلى الداخل بحذائى وملابسى «كان هذا حظى العاثر حين فتحت على جسمى حنفية المياه المغلية التى تفور كالنار، كن يصرخن: طهروها نظفوها، لقد دخلت المياه بملابسها القذرة، كلهن قفزن وتجمهرن حولى.. رأيت أن هناك منفذاً يمكن اختراقه، فهربت إلى الخارج صرخن من ورائى: إذا أبلغت المشـرفة بما حدث لك هنا سنقوم بحرق شعرك][1].

وتتعمد القصص تجاهل إظهار الحياة الاجتماعية والسياسـية والاقتصادية للعرب، ولا تتطرق إلى ذلـك إلا بمنظور أحادى وتوجه متعمد لتشـويه وتحقير الطرف الآخـر، وعلى النقيض تبرز اليهود وبصورة الأكثر تقدماً وثقافة وتحضراً.

وتوظـف فى تحقيق ذلك كل الأسـاليب، فيتم أحياناً اسـتخدام التاريـخ وفى أحيان أخرى يستخدم الدين فى تقديم الصورة المشوهة والمعلومة الخاطئة المزيفة.

فالتاريخ والدين مثلاً فى قصص الأطفال التى يكتبها أفينر كرميلى وغيره من الكتاب الإسرائيليين تقف على البطل اليهودى وتفصيلاته، أما التاريخ والدين المضادان فمرتبطان عندهم- بالشياطين والسحر والشعوذة والدجل[2].

إن عمليات غسـيل المخ يتعرض لها الأطفال فى إسـرائيل منذ الصغر، بهدف إثارة عواطفهم وشـجونهم وتركيـز أذهانهم وقدراتهم نحو أنانية مطلقة، قائمة علـى الفصل العنصرى والتمييز الفاضح، وإنكار الغير، وتربيهم على القسـوة والتطرف القومى الأكثر تعصباً والاسـتهانة بحياة الناس وكرامتهم[3].

كما تخصصت عشرات الكتب المطبوعة بعشرات الآلاف من النسخ، وكذلك القصص والحكايات لشـحن الطفل الإسرائيلى بأقصى درجات العدوانية تجاه كل من هو عربى، أو ما يحمل سمات العروبة والإسلام فوق أرض فلسطين وسائر الأراضى المحتلة.

كشفت الكاتبة الإسرائيلية «نيلى مندلر» فى عدد من مقالاتها الصحفية على حقيقة ما تقوم به إسـرائيل من عمليات غسـيل مخ للأطفـال وتكريس الصورة النمطيـة للعربى بأنه «وحش

(١) التوجيهات العنصرية- المرجع السابق.

(٢) انطوان شلحت- المرجع السابق.

(٣) السواحرى- سمعان- المرجع السابق.

ونـذل»، وذلـك بهدف تربية النـشء ليتعاملوا مع الاحتلال على أنه أمـر عادل ويتم تجاهل الشعب الآخر.

هذا الشحن المكثف الذى يتعرض له الطفل الإسرائيلى دفع البعض من التربويين داخل الدولة العبرية نفسـها إلى التحذير من خطورة تأثير هذا التكريس للنظرة الاستعلائية العنصرية- فيراها أروئيـل أوفـك- الباحث التربوى المتخصص فى كتابة قصص الطفولة أنها «تشـكل خطراً على القراء اليهود الصغار بسبب تكوينها لنمطية التفكير لدى الجيل الحالى المتحكم بمقاليد الأمور فى سائر مؤسسات الدولة العبرية العسكرية والمدنية.

وكان يعتقد أنه فى أعقاب السـلام الذى تم بين مصر وإسـرائيل أن تتغير الصورة المشـوهة للعـرب، إلا أن بحثاً قدمه د. أدير كوهين أثبـت عكس ذلك تماماً وأن صورة العربى فى أذهان الأطفال الإسـرائيليين لم يطرأ عليها أى تغيير والسـبب هو ذلك الشـحن المتعمد الذى تغرسـه إسرائيل فى نفوس صغارها ضد ما هو عربى.

□□□

obeikandl.com